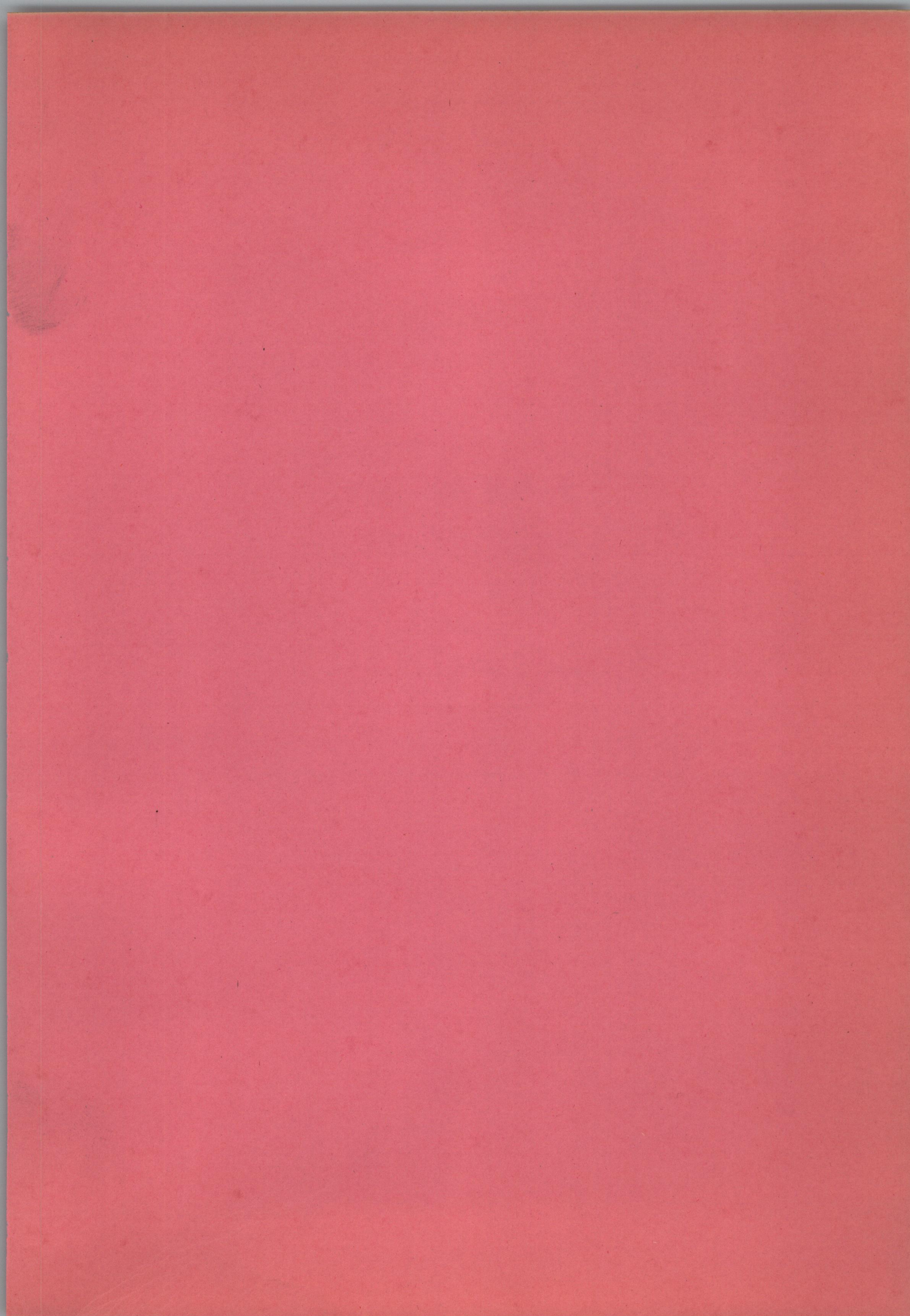
جهود علماء الإنجليز

فى نشر الأدب الفارسى

الأستاذ الدكتور

عبد السلام عبد العزيز فهمى

أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بكلية البنات - جامعة عين شمس



جهود علماء الإنجليز فى نشر الآداب الإسلامية
وما قدّموه فى مجال الدراسات الإيرانية

للدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمى

الأستاذ بكلية البنات - جامعة

عين شمس - القاهرة

أسهم الإنجليز فى تكوين التراث الإنسانى ؛ فمنذ خروجهم من جزيرتهم فى غرب أوروبا المحاصرة بالمياه من كل جانب منطلقين صوب الشرق طامعين فى الحصول على تجارة الهند التى كان يحتكرها البرتغاليون ، سادة البحار آنذاك ، وهم فى عمل دائم .

وبعد صراع مرير بين القوى الأوروبية على احتكار تجارة الهند ، انفرد الإنجليز بالشرق كله ، وأصبح واقعا تحت سيطرتهم السياسية والعسكرية سواء الهند أو بلدان الخليج العربى وجنوب شبه الجزيرة العربية . ووكانت لهم مواقف استعمارية تدل على قوة وجبروت ، ولكنهم منذ شرعوا فى السيطرة على أجزاء من شبه القارّة الهندية - وهى أول بلد تمكّنوا منه فى الشرق - حتى وقعوا فى حب اللغة الفارسية وآدابها .

نعم إنهم حاربوا اللغة الفارسية فى الهند عندما كانت لها رونق وبريق لكونها لغة بلاط دهلى واللغة الرسمية للدولة المغولية ولغة الأدب بين الهنود : مسلمين وهندوس وغيرهم ، واللغة المتداولة فى قارة آسيا برمتها من إيران غربا حتى تخوم الصين شرقا ، وحلوا محلها لغتهم الإنجليزية ، فتقلص نفوذها حتى أصبح وجودها تاريخا ، كما أفل نجم المسلمين وحلوا محلهم .

والصلات بين الشرق والغرب قديمة قدم التاريخ ، والاحتكاك العسكرى والحضارى استمر بينهما منذ عهد الإسكندر الأكبر ولا يزال . ولم تسفر الصلات بين الشرق والغرب عن نتائج حضارية تُذكر فترة الحروب الصليبية . ثم حدثت قطيعة حادة مع انتصار السلطان صلاح الدين الأيوبى على آخر معاقل الصليبيين وطردهم من الشرق .

وقبيل عصر النهضة فى أوروبا كان إحياء المعارف اليونانية قد صبغ الأمور قد صبغ الأمور الأدبية فى أوروبا . وكانت اللغة العربية هى لغة الشرق الوحيدة التى تُدَرَّس حتى ذلك الحين كمفتاح للفلسفة القديمة والعلم القديم ؛ فكانت تُدرّس لمجرد مزاياها الذاتية الخالصة ، لكن هذه المزايا ظلت قرونا عدّة محصورة فى ما قدّمه العرب إلى الطب والرياضيات والفلك . أما الأدب الشرقى والثقافة الإسلامية فأهملها الغرب تمام الإهمال .

وتميّز القرن الخامس عشر الميلادى بحادثتين مهمتين لتأثيرهما على العلاقات بين الشرق والغرب : الأولى استيلاء العثمانيين على القسطنطينية عام ١٤٥٣ م (٨٥٧ هـ) واتخاذهم تلك المدينة ذات الاستراتيجية الهامة عاصمة لهم ، وتبعه ارتفاع الهلال رمز الإسلام متألقا على شرق أوروبا . والثانية

تلت الأولى بأربعين عاما عندما طاف فاسكودى جاما حول رأس الرجاء الصالح وجلب التجار والمبشرين البرتغاليين إلى الهند • وبدأ الغرب يغزو الشرق وتلاهم الهولنديون والإنجليز والفرنسيين ، الذين أرادت كل طائفة منهم أن تحذو حذو البرتغاليين فى ممتلكاتهم الشرقية •

ونظراً لأن البرتغاليين كانوا المسيطرين آنئذ على المحيطات وواقعة تحت سيطرتهم ، فإن الإنجليز أجبروا أول الأمر على اتخاذ طريق روسيا فإيران ومنها إلى الهند • وكان طريقاً صعباً مليئاً بالمشاق كثير التلفيات • كما كان البرتغاليون قد ثبّتوا أقدامهم فى جُوا وديو على الساحل الغربى لشبه القارة الهندية ، وأنشأوا لهم مصانع فى سورات بالكجرات ، وعند شواطئ فيجايانگر وگولكنده الشرقية • وشاعت شهرة الهند بالغنى الفاحش فى أوروبا • وبدأ زحف أوروبى على الهند ، وتوطّن الأوروبيون فى بعض المناطق لغايات تجارية بحته • وتمكّن البرتغاليون - وهم أول من استقروا من الأوروبيين فى الهند - من إقامة القصور والمنشآت والمصانع والحصون ، خاصة فى إقليم الكجرات وبومباى وجوا وديو • وكانت صلاتهم بالبلاط المغول فى دهلى سيئة ، وكذلك علاقتهم بالأهالى لتدخلهم فى الشئون الداخلية واستبدادهم ، هم ومن صحبهم من المبشرين بالمسيحية ، مما جعل الحكومة المغولية تناصبهم العداء وتحاربهم وتعمل جاهدة على كبح جماحهم وطردهم من شبه القارة الهندية •

وفى أوائل القرن السابع عشر الميلادى لحق بهم الهولنديون بقصد التجارة والاستعمار ، وأنشأوا شركة الهند الهولندية ، ودخلوا ميدان المنافسة ضد البرتغاليين ، حتى حلّوا محلهم فى السيطرة على التجارة الهندية ، وتجنّبوا أخطاء البرتغاليين فى القسوة والعنف وأقاموا مراكز تجارية هامة فى سورات وبعض المصانع قرب شواطئ فيجايانگر وگولكنده الشرقية • وما زال الهولنديون سائرين فى طريقهم حتى استولوا على التجارة الشرقية ، واستمروا فى نشاطهم التجارى حتى بدأ التصادم بينهم وبين الإنجليز • ولم تستطع الشركة الهولندية منافسة الإنجليز ، فانسحبت من الميدان واتجهت شرقا لتمارس نشاطها الاستعمارى والتجارى فى جزر الهند الشرقية " إندونيسيا حاليا " •

وقامت بعض المحاولات من الإنجليز للتجارة مع الهند وإيران عن طريق روسيا ، ولكن ما انفتحت البحار أمام التجارة والدبلوماسية البريطانيتين وتجلّت أفضلية طريق رأس الرجاء الصالح لكوْنه أكثر إقتصادا • وهنا بدأ الصراع الذى كان نتيجته النهائية تقرير السيادة البريطانية البحرية فى المياه الشرقية ممتدة فيما وراء الهند وحتى سواحل الصين •

ومع مطلع القرن السابع عشر الميلادى بدأت علاقة الإنجليز بالهند الفعلية ؛ ذلك أنه فى ٢١ ديسمبر ١٦٠٠ م ، أصدرت الملكة أليزابيث الأولى (١٥٣٣ - ١٦٠٣م) ، والذى يعتبر عصرها من أزهى العصور فى التاريخ الإنجليزى مرسوما بالسماح لشركة الهند الشرقية بالتجارة فى الهند لفترة معيّنة • ثم سمحت لهم الدولة المغولية بإقامة مصنع فى منطقة سورات • وقد أغرى المغول نور الدين جهانگير الأول (١٦٠٥ - ١٦٢٧ م = ١٠١٤ - ١٠٣٧هـ) الإنجليز بالبرتغاليين ، وحرّضهم على قتالهم ووعدهم بالتعامل معهم ؛ فبدأ الإنجليز حربهم ضد البرتغاليين فى بحار الهند وأنزلوا

بهم خسائر وهزائم وتلفيات كثيرة ، وكسب الإنجليز مقابل ذلك حقوقا على سواحل الهند مهدت لهم السبل للسيطرة عليها فيما بعد . وعندما أقبل الإنجليزى " توماس رو " إلى الكجرات فى سنة ١٦١٥ م (١٠٢٤ هـ) رحّب به أهل البلاد لكراهيتهم البرتغاليين ومبشّريهم . وكانت موانى التبادل التجارى الهنديه مع الأوروبيين هى سورات وكمباى وكاليكوت وكلكته . كذلك أسهم الإنجليز فى تأييد السلطان شهاب الدين شاهجهان الأول (١٦٢٧ - ١٦٥٧ م = ١٠٣٧ - ١٠٦٨ هـ) وناصروه على المراتها عندما استعان بهم فى حروبه معهم . وعندما ساعدوه على الإستيلاء على مركز البرتغاليين فى هوجلى فى البنغال سمح للإنجليز بإقامة وكالة مركزية لهم فى سورات لتشرف على كافة مراكز الإنجليز التجارية فى الهند . (١)

وفكّر الإنجليز فى بداية تواجدهم فى شبه القارة الهندية بغرض التجارة فى إقامة مكتب تجارى ومركز لهم يستطيعون عن طريقه إدارة مؤسساتهم وشركاتهم ومصانعهم ؛ فأسسوا إدارةً لهم فى البنغال لإدارة أعمالهم ، ثم توسّعوا فى المدينة حتى أصبحت مستعمرة ونواة لبداية سيطرتهم على الهند . ومما يسّر للإنجليز غزو أسواق الهند خلوّ جالياتهم أول الأمر من المبشرين وحرصهم على تجنب التداخل فى شئون الهند ، وفى شئون الدولة ، وتظاهرهم بالمودّة والحب وملاطفتهم للأهالى وتعاملهم بالحيلة والدهاء والمكر وجلب كل طريف من منتجات بلادهم من الكماليات وأدوات الزينة وغيرها من المنتجات الإنجليزية التى كان أهل الهند يقبلون عليها ، ويحصلون فى مقابل ذلك على المواد الأولية اللازمة للصناعة فى بلدهم والبهار والقطن والنيلة .

وأولى " جيمس الأول " ملك إنجلترا شركة الهند الشرقية البريطانية اهتماماً كبيراً ؛ فأرسل سفيرا إلى الإمبراطور جهانگير شاه لعقد معاهدة تجارية بين البلدين . فصدر فرمان من الإمبراطور المغولى يسمح للشركة الإنجليزية بإقامه مصانع فى سورات وما حولها . وفى خلال فترة قصيرة تمكن الإنجليز من إقامه مراكز تجارية لهم فى آگره وأجمير وأحمد آباد وبهرانك ، وإقامة مصانع فى پلاسپور وهرى هرپور . وشرع الإنجليز فى التقرّب إلى البلاط المغولى حتى تمكنوا من الحصول على امتيازات كثيرة أهمها إقامة وكالة لهم بالهند لتخضع بعد ذلك كل مراكزهم الهندية لإشراف موحد فى سورات ، مما قوّى نفوذهم . (٢)

وبعد وفاة الإمبراطور محيى الدين أورنگزيب عالمگير (١٦٥٦ - ١٧٠٦ = ١٠٦٨ - ١١١٨هـ) آخر أباطرة المغول الأقوياء فى الهند بدأ الانهيار والضعف يسرِى فى كيان الدولة المغولية ؛ فأخذ قُوّادها فى الانفصال عنها بولاياتهم ليقيموا دويلات مستقلة ، كانت الحروب الداخلية والاضطرابات والغزوات الخارجية سببا فى زوالها . وفى تلك الفترة المضطربة من تاريخ الهند انتهزت الدول الأوروبية الفرصة واستفادت من هذا التفكك والضعف ليبدأ الصراع والتنافس فيما بينها للنّيل من ممتلكات الدولة المغولية والتنافس على احتلال أراضيها والسيطرة عليها ، وأخيرا انحصر الصراع الأوروبى فى الهند بين انجلترا وفرنسا ، وكانت الشركتان : الإنجليزية والفرنسية فى الهند مرآة صادقة للصراع والحروب بين إنجلترا وفرنسا فى أوروبا وأمريكا وفى الهند ، واستمرت قوات الشركتين فى الهند فى الفترة من ١٧٥١ حتى ١٧٥٤ م فى حالة حرب مستمرة . وأخيرًا انتهى الأمر بسيطرة إنجلترا فى مدينة كرناتك معقل

الفرنسيين ، وأقاموا فى الموانى الهندية مناطق نفوذ عسكرى تضاهى ما أحرزه الفرنسيون فيها ،وأخرجوا الفرنسيين من الجيوب التى كانوا يتمركزون فيها ، وأطاحوا بنفوذهم نهائيا وأصبح الإنجليز وحدهم فى الساحة . وهكذا تمكنوا من السيطرة التامة على شبه القارة الهندية حتى دخلت ضمن مستعمراتهم .

أما إيران ، موطن اللغة الفارسية ، فقد واجه الإنجليز فى أول الأمر شعبًا متحدا ودولة قوية متماسكة (الدولة الصفوية) فكان أسلوب تعاملهم مع إيران فى البداية يختلف تماما عن الأسلوب الذى استخدموه فى الهند ؛ ففى الفترة ما بين سنة ١٥٦١ و ١٦٠٠ م أرسل الإنجليز ست رحلات لدراسة المنطقة وإمكانية التجارة (٣) وكانت الرحلة بقيادة الرحالة الإنجليزى " أنتونى جنكسون " (A. Jenkinson) فوصل إلى إيران برًا سالكا طريق روسيا فبحر الخزر ودربند من بلاد القوقاز وعبر نهر أرس حتى وصل إلى أردبيل ،ومنها توجه إلى قزوين العاصمة الصفوية آنئذ فى شهر أكتوبر ١٥٦٢ م ،حاملا معه رسالة من الملكة اليزابيث الأولى للشاه طهماسب الأول الصفوى (١٥٢٤ - ٢٥٧٦ م = ٩٣٠ - ٩٨٤ هـ) للسعى فى الحصول على امتيازات تجارية من الشاه الصفوى ، وعقد أواصر الصداقة بين البلدين . وكانت الخطابات التى يحملها جنكنسون مدوّنة باللغة العبرية واللاتينية والإيطالية ؛ فكانت غامضة لم يُفهم منها شئ . وقابله الشاه طهماسب بفتور ولم يعطه الفرصة ليحقق أى هدف من زيارته ، وفشل فى مهمته تماما وعاد بخفى حنين . وساعد على ذلك أن الشاه طهماسب الصفوى كان قد عقد اتفاق صلح وسلام مع السلطان العثمانى سليمان الثانى " القانونى " (٤) . كما أرسلت شركة الهند الشرقية بعثات من جانبها إلى إيران عن طريق المحيط الهندى والخليج العربى ضمت كلا من :

١ ـ جوزيف سالبنك — Joseph Salbancke

٢ ـ روبرت كوفيرت — Robert Coverte

٣ ـ إدوارد كونوك — Edward Connok

٤ ـ توماس باركر — Thomas Barker

٥ ـ إدوارد مونوكس — Edward Monnox

وقد نجح الأخير " إدوارد كونوكس " فى تأسيس فرع لشركة الهند الإنجليزية فى أصفهان . وبهذا وضعت إنجلترا أقدامها فى إيران وفازت بتجارتها . (٥)

وفى سنه ١٦٢٧ م (١٠٣٧ هـ) سافر ديفيد ديفيس (D.DAVIS) إلى جزيرة هرمز ورسم كروكى لمدينة هرمز . ويُعد هذا الرسم حاليا بمنزلة وثيقة تاريخية عن شكل المدينة . كذلك سافر إلى ايران فى السنة التالية (١٦٢٨ م = ١٠٣٨ هـ) توماس هربرت (Thomas Herbert) على رأس وفد إنجليزى وتمكن من عقد اتفاقية تجارية مع إيران . كما زار إيران بضع شخصيات إنجليزية مثل جون ادوارد ملتونز (John E. Meltons) فى سنة ١٦٧٢ م (١٠٨٣ هـ) ، والطبيب جان فرى (John Freye) فى سنة ١٦٧٧ م (١٠٨٨ هـ) .

ورغم كل هذه المساعى المبذولة والمحاولات المستميتة الإنجليزية لتوطيد العلاقات تجاريا

مع إيران ، إلا أن الهولنديين كانوا منافسين خطرين على التجارة الإنجليزية ، حتى رغم الاتفاقيات التى أبرمها الشاه صفى (١٦٢٨م – ١٦٤٢م = ١٠٣٨ – ١٠٥٢هـ) مع كل من شارل الأول وشارل الثانى ، وإرسال الحكومة البريطانية بعثة دبلوماسية وتجارية برئاسة چون كمپلز (John Comphells) فى الفترة من ١٦٦٨ – ١٦٦٩م (١٠٧٩ – ١٠٨٠هـ) ، فلم تتمكن إنجلترا من احراز تفوق ملحوظ نتيجة اعتراض الصفويين عنهم وضايقتهم ، حتى رغم انتصار انجلترا فى الحرب التى نشبت بينها وبين هولندا فى سنة ٢٦٧٢م (١٠٨٣هـ) وتغيير الموازين الدولية لصالح الإنجليز . ورغم كل ذلك انتعشت التجارة البريطانية مع إيران . (٦)

وهذه الإشارة التارخية ضرورية لشرح الروح الجديدة التى أجّجت شعلة الإستشراق الإنجليزى منذ بداية القرن السابع عشر الميلادى ؛ فطلب التجارة الرابحة – وهو أقوى المشجعات البشرية على النشاط والعمل – كان له أثره الطبيعى على ما للشعب الإنجليزى من ميول ومجهودات فكرية ؛ فبينما كان التاجر الانجليزى يسعى فى تحصيل النفع المادى من علاقاته بالشعوب الشرقية ، إذ بالمبشر الأنجيلى يسبقه تارة أو يتبعه حثيثا تارة أخرى ، وقد امتلأ حماسا يدعو إلى المسيحية . ووجد أن مما يساعد على تحقيق ما يرمى إليه أن يتعلم لغة وطرق تفكير من هو يعيش بينهم . وقد ازداد هذا التعلم لزوما حين وجد الداعى المسيحى نفسه وجها لوجه أمام دين تبشيرى آخر هو الإسلام وأمام دعاة مسلمين قاموا بدعوتهم مستندين إلى ثقافة ناضجة وفلسفة عميقة .

وكانت قد نشطت الدراسات الشرقية فى ذلك العهد ، حيث كانت منطقة الشرقين الأدنى والأوسط تكونان وحدة دينية وثقافية ، وأيضا سياسية إلى حد كبير . وكانت اللغات الرئيسية الثلاث التى يتداولها المسلمون : العربية والفارسية والتركية ، متوغلة فيها بدرجة متساوية ؛ فالعربية كانت لغة الدين والعلم ومتداولة فى منطقة شاسعة وتضم شعوبا عديدة . والفارسية كانت لغة البلاط المغولى فى الهند واللغة الرسمية للحكومة والأدبية فى شبه القارة الهندية ، وأداة المجتمع الراقى فى الدولة العثمانية ، ولغة الأدب الأولى لدى سلاطين آل عثمان ، ولغة الأتراك الشرقيين فى مساحة تمتد من أفغانستان حتى تخوم الصين شرقا . علاوة على موطنها الأصلى فى إيران وأفغانستان وتاجيكستان . وبمعنى أدق اللغة المتداولة فى آسيا من العراق غربا حتى سور الصين العظيم شرقا . أما التركية فكانت واسعة الانتشار كلغة التخاطب فى كافه أنحاء الدولة العثمانية المشتملة على أوروبا الشرقية وآسيا الصغرى والبلاد العربية (الآسيويه والافريقيه) وأيضا فى بلاد القوقاز ودولة الأوزبك فى ما وراء النهر والتركستان وأجزاء من خراسان . كما كانت لغة شاهات الصفويين ولغة البلاط الصفوى ؛ فكان من الطبيعى درس الإنجليز اللغات الثلاث ، وأنّ أكثر الذين درسوا إحداها قد تملّكوا الثلاث .

اللغه الفارسيه فى الهند : لمحـة تاريخية :

نمت اللغة الفارسية فى شبه القارة الهندية مصاحبة لجيوش الغزنويين والغوريين ، وبعد ذلك مع جيوش ظهير الدين بابر التيمورى (١٥٣٠ - ١٥٣٥م = ٩٣٧ - ٩٤٢ هـ) واستمرت حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى (أواخر القرن الثالث عشر الهجرى) ، حتى يعد عصر حكم هذه الأسرة فترة كاملة وعصرا من عصور اللغة الفارسية .

واللغة الفارسية التى وردت فى بداية أمرها برفقة الأجانب (خراسانيين وأتراك وتاجيك) لم تلبث أن توطنت الهند اختيارا . وطوال ثمانية قرون ، هى عمر اللغة الفارسية فى الهند انتقلت إليها قوافل من العلماء والصوفية والأدباء من إيران وآسيا الوسطى ، وأيضا قوافل المهاجرين والمغامرين الذين استهواهم المال والعطايا والوظائف . وفى محيط اللغة الفارسية التى كان يتكلمها أولئك وهؤلاء نشأت لهجة فارسية خاصة بهم هى " الفارسية الهندية (فارسى هندى) ، وفى عالم الشعر والأدب نشأت مدرسة فكرية أطلق عليها " الأسلوب الهندى " (سبك هندى) .

وتلألأت اللغة الفارسية فى عصر السلطان ناصر الدين همايون بن بابر شاه (١٥٣٥ - ١٥٥٥م = ٩٣٧ - ٩٦٣ هـ) وابنه جلال الدين أكبر شاه (١٥٥٥ - ١٦٠٥م = ٩٦٣ - ١٠١٤هـ) ؛ لقد كانت هجرة همايون ولجوئه إلى ايران واقامته مدة أربعة عشر عاما (من ١٥٤٢ - ١٥٥٥ م) فى بلاط الشاه طهماسب الأول الصفوى ذات أثر فعال ،بل ودون حدود فى نشر اللغة الفارسية والثقافة الإيرانية فى الهند ؛ لقد دفعت إقامته الطويلة فى إيران إلى تجديد وانتشار الثقافة الإيرانية فى عصر مغول الهند ، حيث بدأت تنمو وتزدهر على مر الأيام ووصلت إلى درجه الكمال ؛ كان بيرم خان أحد رجال عصر همايون شاه وابنه عبد الرحيم خان [٧] الملقب باسم " خان خانان " هو أيضا أحد عظماء وصناديد بلاط السلطان أكبر شاه ، وكان اهتمامه زائدا فى تقريب شعراء الفارسية وتربيتهم وتعهدهم . وكان السلطان أكبر يحب الشعر الفارسى ، وروى عنه أشعار فارسية وأبيات . وهو أول ملك هندى أحدث فى بلاطه منصب " ملك الشعراء " تقليدا لسلاطين إيران وشاهاتها . وأول من نال هذا اللقب والمنصب الخطير هو الشاعر أبو الفيض ناگورى المتخلص بفيضى . وكان أبو الفضل علامى وزير أكبر وشقيق فيض أديبا دوّن كتاب " آيين أكبرى " باللغة الفارسية .

واستمر أعقاب أكبر إبتداء من جهانگير شاه وابنه شاهجهان حتى آخرهم بهادر شاه الثانى " ظفر " (١٨٥٧م = ١٢٧٤ هـ) على سُنَّة أجدادهم فى حفظ ورعاية اللغة الفارسية . كما سار على نهج سلاطين المغول ، بل وفاقوهم فى حبهم للغة الفارسية وأدبها ونشر المعارف الايرانية ملوك جنوب الهند من أسر البهمنية وعادل شاهية ونظام شاهية وقطب شاهية وآصف جاهية الذين كانوا يحكمون جنوب الهند .

واستمر وضع اللغة الفارسية مزدهرا كلغة البلاط والحكومة والأدب والتعليم كما كان عليه حتى القرن التاسع عشر الميلادى . ثم تغيرت الأحوال فى شبه القارة الهندية ، وجاء دورٌ جديد هو عصر

الحكومة الإنجليزية فى الهند وعصر نفوذ الحضارة الأوروبية فى آسيا . وأخيرا اتخاذ اللغة الأوردية وهى لغة هندية إسلامية ، لغة رسمية وأدبية بدلا من الفارسية . كما حلت اللغة الإنجليزية محل الفارسية فى المصالح الحكومية والمراكز العلمية والثقافية ، واحتلت مقاما كبيرا طوال قرنين ونصف . وأقبل الهنود على دراستها بشغف زائد ، وكانت تُدَرَّس من المرحلة الإبتدائية حتى أنها رسخت فى أعماق الضمير الهندى والاتجاهات الفكرية للشعب الهندى جيلا بعد جيل . وظهر كثير من الكتاب والشعراء كتبوا بالإنجليزية أو نظموا الشعر بها ، وظهر أدب إنجليزى جديد يعرف بالأدب الإنجليزى الهندى كسابقة الأدب الفارسى الهندى . (٨)

الإنجليز فى الهند :

استقرت الجاليات الإنجليزية فى القرن السابع عشر الميلادى فى الهند فى مدن بومباى ومدراس وكلكته بعد حصولها على موافقة السلطات الهندية المحلية وبإذن منها ، حيث كانت هذه الموافقة لازمة لإقامة الأجانب . ثم تدرّج الأمر وحصل البريطانيون فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى على حقوق امتلاكية فى مختلف أجزاء الهند .

وفى المرحلة الأولى من التواجد الإنجليزى فى الهند كان على موظفى شركة الهند الشرقية الحصول على قدر من المعرفة بلغات شبه القارة الهندية وعادات أهلها من أجل أعمالهم التجارية وليتمكنوا من إدارة شئون المستعمرات الصغيرة التى عاشوا فيها والتعامل مع من لهم صلة بهم من تجار وموظفين وأهالى . وكان الناس فى شبه القارة الهندية يتكلمون لغات شتى فى مختلف المناطق ، بالإضافة إلى اللغة الفارسية التى كانت لغة البلاط المغولى والحكومة واللغة الأدبية ولغة العلم والتعليم . كما أن المسلمين فى الهند كانوا على علم باللغة العربية . وكانت كتب الهندوس المقدسة أغلبها مكتوب بالسنسكريتية ، بينما سادت فى شمال الهند لغة هندية مستمدة من السنسكريتية قد حفلت بالألفاظ الفارسية والعربية والتركية التى زادت من ثروتها . وعرفت هذه اللغة المختلطة بالهندوستانية وريخته والأوردية . وكانت آنذاك آخذةً فى الشيوع كلغة تخاطب بين الهنود جميعا بمختلف لغاتهم ودياناتهم .

وفى سنة ١٧٦٥ م (١١٧٨ هـ) طرأ تغيُّر كبير على مكانه شركه الهند الشرقية وسلطاتها ، حين تنازل لها الإمبراطور المغولى جلال الدين عالم شاه (١٧٥٩ - ١٧٨٧ م = ١١٧٣ - ١٢٠٢ هـ) عن حق جباية الخراج فى مقاطعات البنغال وبهار وأوريسة . تلى ذلك حق إدارة القضاء فى هذه المقاطعات ونقلت المحاكم العليا إلى كلكته ، وأيضا نقلت إليها إدارات المالية والضرائب . وتبع ذلك إرسال موظفين إنجليز إلى الإدارات المحلية ليشرفوا عليها من قِبَل الشركة وليس من قبل الحكومة المغولية التى تحكم فى الهند .

وكان أغلب موظفى الشركة قد عاش فى الهند منذ شبابه ، على معرفه باللغات الهندية والفارسية بل كان شرط التعيين فى وظائف الشركة هو إجادة اللغة الفارسية وإحدى اللغات الهندية . وإذا أخذنا أول حاكم عام للهند البريطانية كمثال لذلك وهو " وارين هيستنجز " (Warren Hastings)

نجده كان مجيدا للغتين الفارسية والبنغالية . وكان يعتقد أنه من الضروري أن يكون موظفو الشركة على إلمام جيد بقوانين البلاد وعاداتها ولغاتها . وقرر استعمال القوانين المدنية للمسلمين والهندوس لفض المنازعات . وكان كثير من الموظفين الإنجليز يعرفون القوانين الإسلامية . أما القوانين المدنية الخاصة بالهندوس فكانت مكتوبة بالسنسكريتية التي لم يكن يعرفها بدرجة كافية إلّا القليل من موظفي الشركة ؛ بريطانيين كانوا أم هنودا ، فاقنع هيستنجز تسعة من علماء البراهمة أن يضعوا خلاصة للقانون الهندوسي ، ثم أعيد ترجمتها إلى الفارسية على يد عالم مسلم كان على معرفة بالسنسكريتية . وترجم هذا النص الفارسي إلى الانجليزية ليستعمله الموظفون الإنجليز .

ومما زاد الإنجليز اهتماما باللغة الفارسية أن أعمال المحاكم الإنجليزية في ذلك الحين كانت تتعامل باللغة الفارسية ؛ فنتج عن ذلك بطبيعة الحال إجادة موظفي الشركة اللغة الفارسية عِلْمًا وعَمَلًا .

وصاحب ذلك تقدم في دراسة اللغات المتداولة في الهند ، حين أسس هيستنجز في سنة ١٧٨١م (١١٩٦ هـ) مدرسة كلكته لدراسة اللغات والعلوم الإسلامية . وكان هدفه من وراء ذلك تشجيع الهنود ؛ مسلمين وهندوس وغيرهم على دراسة لغاتهم وآدابهم القديمة ليتمكنوا من الحصول على وظيفة . ثم جاء السير وليم جونس ، وهو محام إنجليزي عالم بالفارسية والسنسكريتية ، فنفخ في الدراسات الشرقية روحا جديدة عندما عُيِّن قاضيا في المحكمة العليا في كلكته سنة ١٧٨٣م (١١٩٨هـ) وأجرى دراسات لغويه مقارنه بين السنسكريتية والفارسية من ناحية ثم بينهما وبين اليونانية واللاتينية فوجد بينهم جميعا وجوه تشابه ما مكّنه من وضع علم الدراسات اللغوية المقارنة .

وفي الفتره ذاتها كان اللورد ولسلي (Lord Wellesley) الحاكم العام الإنجليزي في الهند قد أدرك أن موظفي شركة الهند الشرقية ينبغي عليهم جميعا أن يكونوا على معرفة كافية بقوانين البلاد وعاداتها ولغاتها ؛ فأصدر قرارا في الرابع من مايو سنة ١٨٠٠م (١٢١٥ هـ) بإنشاء معهد علمي في قلعة وليم بكلكته ، فعرفت باسم " كليه فورت وليم " (Fort WilliaM College) وأسند إدارة الكلية إلى المستشرق الإنجليزي " رادن جلكرست " (R. Gilchrist) المتضلع في الآداب الفارسية والسنسكريتية وبعض اللغات الشرقية الأخرى ، واشترك معه عدد من العلماء والأدباء البارزين الهنود ؛ مسلمين وهندوس وبعض الدارسين الانجليز لتدريس اللغات العربية والفارسية والسنسكريتية والأوردية والبنغالية والتلكية والمراهتية والكندية ، بالإضافة إلى مواد التاريخ واللاهوت واللغات الإنجليزية واللاتينية واليونانية . لكن سرعان ما قصرت شركة الهند الشرقية مهمتها على تدريس اللغات الشرقية ، وأولت عناية خاصة باللغه الأوردية ، ونص قانون الكلية على أن يكون التدريس بها بالأوردية فكان ذلك أول مرة في تاريخ هذه اللغة للظهور ، وأول ضربة للفارسية وزحزحتها عن عرشها الذى كانت تتبوأه .

وبعد أن أسست الشركة الهندية الإنجليزية كلية فورت وليم ، أسست في مدينة " هارتفورد " (Hertford) بانجلترا كلية لدراسة اللغات الشرقية عرفت باسم " هيليبرى " (Haileybury)

ليتلقى فيها موظفوهم من الشباب الإنجليزى تعليما أوليا . ثم تأسست كلية أخرى فى " أديسكومب " (Addiscombe) بالقرب من لندن لضباط الجيش الشبان . وقد أسدى المعلمون فى هيليبيرى وأديسكومب خدمات جليلة إلى الدراسات العلمية للغات المتداولة فى الهند . ومن بينها اللغة الفارسية ليتسنى لموظفيها الموفدين إلى الشرق أن يكونوا على إلمام ولو جزئى بلغات وثقافات الشعوب التى سيعملون ببلادها ، حتى وصل الأمر أن بعض الإنجليز فى الهند تعلموا كيف يتناقشون بتبحُّر فى الفارسية ويستشهدون بشعر حافظ الشيرازى كما يستشهدون بشعر هوراس .

وعقد الإنجليز النية على جعل الأوردية ، وكانوا يطلقون عليها إسم " الهندوستانية " اللغة الرسمية بعد اتساع استعمالها . وفى سنة ١٨٣٢ م (١٢٤٨ هـ) قرر الإنجليز جعل الأوردية اللغة الرسمية بدلا من الفارسية فى عدد من المصالح الحكومية الهندية . وبالطبع كان ازدهار ونمو الأوردية وانتعاشها على حساب اللغة الفارسية المستخدمة فى دواوين الحكومة والتعليم والأدب .

وهكذا تمكن الإنجليز من السيطرة الكاملة على شبه القارة الهندية ، لما كانت عليه أحوال تلك البلاد من فساد اجتماعى ودينى وظلم واستبداد ، ثم وقوفهم جميعا فى وجه التيار الإسلامى الجارف وقد أسهم الإنجليز فى إشعال نار الفتن واندلاعها ؛ فأحكموا السيطرة على الهند برمتها وتصرفوا بحرية تامة لما وجدوه أمامهم من مجال مفتوح ومناخ مناسب وشعب متنافر وأديان متباعدة ، فأيقظوا العداوات الكامنة فى النفوس التى تنتظر أول شرارة لاندلاعها ، أو أول تحريك لايقاظها .

وانتهى الوضع نهائيا لصالح الإنجليز عندما قام الهنود بثورة تزعمها الإمبراطور المغولى سراج الدين بهادر خان " ظفر " عام ١٨٥٧ م (١٢٧٤ هـ) . لكن المستعمر الإنجليزى تمكن من القضاء عليها وبجنود محليين . ومما ساعد على إخمادها سكوت بعض المناطق وسلبيتهم أو مساعدتهم للإنجليز مثل انضمام السيخ لهم ، وكانوا مسيطرين على البنجاب . وأيضا وقوف ملك حيدر آباد المسلم ضد مواطنيه الهنود . وأخيرا قضى الإنجليز على الثورة وتحمّل المسلمون نتائجها التى شملت كافة أنواع الانتقام والتشفى والتنكيل ما لم يتحمله أحد . وقبض الإنجليز على الإمبراطور المغولى سليل تيمور لنك ومن كانوا معه مع أفراد أسرته ، ونصبوا المشانق العامة فى الشوارع والميادين ، وصلبوا ثلاثة آلاف رجل كان منهم تسعة وعشرون من أفراد الأسرة الملكية المغولية الحاكمة . كما حوكم الإمبراطور المغولى لتعاونه مع الثوار ضد الشركة الإنجليزية . وأخيرًا صدر قرار بنفيه إلى رانجون عاصمة بورما ، فمكث فيها إلى أن لقى ربه .

وفى أول نوفمبر ١٨٥٨ م (١٢٧٦ هـ) صدر قرار الملكة فكتوريا بنقل حكم الهند من يد الشركة إلى يد الحكومة البريطانية ، وعين عليها أول حاكم من قبل الملكة . ودخلت الهند رسميا ودوليا ضمن المستعمرات البريطانية .

لقد أثّرت ثورة التحرير التى قام بها الشعب الهندى عام ١٨٥٧ م لنيل حريته والوقوف فى وجه الاستعمار البريطانى فى اللغة والأدب والحضارة فى شبه القارة الهندية . ومنذ سيطرة الإنجليز على

الهند انقرض عصر الحضارة الاسلامية ، وبدأ عصر جديد وَجَّهه الإنجليز وجهة خاصة لصالحهم متعمدين فصل الهند عن العالم الاسلامى وتقليص نفوذ المسلمين بها .

وبدأ مع التطورات السياسية والإدارية الجديدة عهد جديد فى تاريخ اللغة فى شبه القارة الهندية ؛ ذلك أن الإنجليز أدركوا أن بقاء اللغة الفارسية كلغة رسمية لم يعد يلائم البلاد ولا يتمشى مع سياستهم ؛ علاوه على أنها كانت لغة المثقفين والطبقة الراقية والعالية الذين فقدوا نفوذهم ومناصبهم فى ظل الحكم الانجليزى الجديد . وفوق كل هذه الاعتبارات كانت الفارسية اللغة الإسلامية المشتركة التى تربط شعوب آسيا المسلمه مع بعضها البعض ؛ ومظهرًا من مظاهر الوحدة الاسلامية والثقافة المشتركة ، واستبدلوها بالأوردية . وفرض الإنجليز على موظفيهم الإلمام بالأوردية بدلا من الفارسية . (٩)

ولم يكتفى الإنجليز بجعل الأوردية اللغة الرسمية ، بل توغلوا أكثر وقَسَّموا اللغة إلى قسمين : قسم أطلق عليه الهندية ويكتب بالخط الديوناگرى تخص الهنود غير المسلمين وجعلوها تستمد من التراث الهندى البحت ، والأخرى الأوردية وتكتب بالخط الإسلامى وتستمد تراثها من الأصول الإسلامية : العربية والفارسية بحيث لم يمض طويل وقت حتى كانت هناك لغتان مختلفتان أصلهما واحد ، إحداهما تخص المسلمين والأخرى تخص الهندوس وغيرهم من الديانات الهندية الأخرى .

وعلى هذا النحو اهتز عرش اللغة الفارسية وآدابها فى شبه القارة الهندية الذى تربعته طوال قرون عدّة كلغة رسمية وادارية وأدبية . وانصرف الناس عنها لانشغال الكثير منهم فى العداوات القائمة والتقرب إلى الإنجليز والسير فى ركابهم والانغماس فى اللهو والمجون والعبث المصاحب للفشل الذى أصبح الطريق للوصول إلى الحكم والوظائف الكبيرة . وفى الوقت ذاته بدأت اللغة الأوردية تنهض لتحل محل الفارسية فى المصالح الحكومية والمراكز العلمية والثقافية . وهى بدورها انتشرت فى شبه القارة الهندية واحتلت مقاما كبيرا طوال قرنين ونصف هى فترة التواجد الإنجليزى فى الهند . ولا شك أن من أسباب انتشار اللغة الإنجليزية أنها قدمت بأسلوب تربوى وتعليمى جديد ، وعلى قواعد نحوية وصرفية ميسّرة . وفى الوقت ذاته قل تدريس اللغة الفارسية التى أصبح تعليمها قاصرا على الجامعات وفى أقسام محدّدة ، فقل التداول معها . ثم إن الإنجليز شجعوا دراسة اللغة الأوردية لتخلُف الفارسية . ومضى الوقت اهتم الشعب الهندى باللغتين الإنجليزية والأوردية لأنهما من أسباب الحياة فى شبه القارة الهندية ونيل الوظائف الحكومية والتقرب إلى الحاكم الإنجليزى . وتعد اللغة الإنجليزية أول لغة استقرت فى الهند ؛ بعد أن شجعتها وأيدتها الحكومة البريطانية طوال التسعين سنة التى تشكل عصر إمبراطوريتها فى الهند (١٨٥٧ - ١٩٤٧م) .

ونظرةً أخيرةً على الفارسية نذكر أنها كانت اللغة الرسمية فى شبه القارة الهندية لمدة ستة قرون ، ومركزا لتأليف الكتب فى مختلف فنون المعرفة ونظم الشعر بالفارسية ، حتى أصبحت المؤلفات الهندية من أبرز ما دوّن فى الأدب الفارسى ، وتركت بصماتها واضحة وتأثيرا فعالا فى التاريخ السياسى والحضارى للهند . وقد علق المستشرق الألمانى " هيرمان ايتيه " فى كتابه " تاريخ الأدب الفارسى "

على ما قدّمته الهند للفارسية من خدمات ما يلى : " لا شك أن أعظم فترة لتاريخ الأدب الفارسى وأثرها فى تاريخ الهند عامة إبتداءً من سلاطين دهلى وأباطرة مغول الهند والسلالات الصغيرة فى الدكن والكجرات ومالوه والبنغال وجونپور وكشمير والسند والمولتان . وفى هذا المقام لا يسعنا ذكر منتخبات من آثارهم ، ولا حاجة الى ذلك ؛ لأنه يوجد أهم مصدر يمكن الاعتماد عليه فى تاريخ الهند وآدابها ألفه " أليوت و دواسن " (١٨٦٨ - ١٨٨٧ م) فى ثمانى مجلدات ضخمة . (١٠)

الدراسات الايرانية فى القرن السابع عشر الميلادى :

بعد أن وجد الإنجليز أن اللغة الفارسية لازمة لهم ليتسنى لهم التفاهم مع الحكومة المغولية والحكام الهنود المحليين الآخرين ، اكتشف المختصون الإنجليز فى اللغة الفارسية وآدابها بريقا جذابا فدرسوها لذاتها ، واستخرجوا كنوزها الأدبية وحققوا تراثها ونشروه للتداول بحيث أنهم حققوا ، آخر الأمر ، أغلب الكتب الفارسية . وأولوا التاريخ والأدب اهتماما خاصا ، وأقبلوا على كتب التاريخ الفارسية المتعلقة بالهند بالدراسة والتحقيق والنشر ليستفيدوا منها فى رسم خططهم ومعرفة ما كان يدور بين الهنود من معارك وأسبابها وحياتهم الاجتماعية وغير ذلك .

أما علماء الإيرانيات الإنجليز فى إنجلترا ، الذين لم يعملوا بشركه الهند الشرقية ، أو حكومة الهند فيما بعد وعملوا بالجامعات الإنجليزية وغيرها ، فإنهم أسهموا إسهاما كبيرا فى نشر التراث الفارسى وتحقيقه ، وتأليف الكتب بلغتهم الإنجليزية عن موضوعات فارسية . لقد كان فى أول الأمر عملا استعماريا بحتا ، ثم أصبح بعد ذلك هواية لما فى الأدب الفارسى من موضوعات إنسانية تهم البشرية بأسرها . وإذا جمعنا ما دوّنه أولئك وهؤلاء سنجد كما هائلا من الكتب والدراسات المحقّقة والمؤلفة عن اللغة الفارسية فاقت فى حينها ما أخرجته إيران . بل إن الإيرانيين تعلموا عنهم طريقة البحث الحديث والتنظيم الدقيق ؛ فجاء عملهم سجلا واضحا عن اهتمامهم باللغة الفارسية وتذوقهم أدبها . وإذا أخذنا الأستاذ إدوارد جرانڤيل براون نموذجا لعالم إيرانيات أخلص فى عمله نجده قد حقق الكثير من الكتب الأدبية والعلميه والتاريخية الفارسية ، ودوّن كتابا فى تاريخ الأدب الفارسى فى أربعة أجزاء من بداية الأدب الفارسى حتى العصر القاجارى (الربع الأول من القرن العشرين) . ولا يزال هذا الكتاب عمدة فى بابه ، ولم يتمكن علماء إيران ومحققوها من تدوين كتاب مثله حتى يومنا هذا . (١١)

بدأ يظهر فى إنجلترا الاهتمام باللغة الفارسية بعد تلك الخطوات التى بدأت فى هولندا حيث قام " ليڤينوس وارنر " (L. Warner) الذى كان يجيد اللغات العربية والفارسية والتركية بتدوين كتاب جعل عنوانه باللغتين اللاتينية والفارسية " صد گفتار ومثل فارسى " (مائه قول ومثل فارسى) وطبعه فى مدينة ليدن سنة ١٦٦٤ م (١٠٥٤ هـ) . وذكر فى مقدمته اللاتينية : " أمتدح جمال اللغة العربية ورقة اللغة التركية ولكنى حقا مفتون باللغة الفارسية " . (١٢)

وفى نفس الفتره نشر " جورج چنتيوس " (G. Gentius) أول طبعة للكتاب الأدبى الفارسى " گلستان " (الروضة) لسعدى الشيرازى فى أمستردام سنة ١٦٥١ م (١٠٦١ هـ) . وكان انتشار هذا الكتاب فى هولندا سببا فى ازدياد اهتمام الإنجليز باللغة الفارسية . (١٣) وفى أواسط

القرن السابع عشر الميلادى بدأ فى إنجلترا " علم الإيرانيات " يشق طريقه إلى جامعاتها . وكان عدد علماء الإيرانيات قليلا فى القرن السابع عشر نذكر منهم :

أبراهام ويلوك (A. Wheelock) (١٥٩٣ - ١٦٥٣م) (= ١٠٠٢ - ١٠٦٤ هـ)

وهو خريج جامعة كمبريدج سنة ١٦١٤م ، وحصل على الدكتوراه عام ١٦٢٥م . ودرس اللغات الشرقية حتى اختير راعيا لإحدى كنائس كمبريدج (١٦٢٢ - ١٦٤٢م) . وبعد معاناة الفقر سنين طويلة عُيّن أمينا عاما لمكتبة جامعة كمبريدج ، ثم أول أستاذ لكرسى اللغة العربية الذى أنشأه فى جامعة كمبريدج السير توماس آدامز سنة ١٦٣٣م . وكان أبراهام ويلوك من علماء الإنجليز وشعرائهم ينظم الشعر باللاتينية واليونانية والإنجليزية ، ونشر الترجمة الفارسية للإنجيل فى لندن سنة ١٦٥٧م . (١٤) .

يليه " جون جريفيز " (John Greavas) (١٦٠٢ - ١٦٥٢م = ١٠١١ - ١٠٦٣ هـ)

وقام برحلة إلى ايران ضمن رحلته إلى الشرق الأدنى بصحبة " إدوارد بوكوك الأب " فى سنة ١٦٣٧م (١٠٤٧ هـ) ، ونزل مصر لدراسة العربية والفارسية على يد علمائها . وقام بقياس أبعاد الأهرام ، واقتنى مجموعة نفيسة من المخطوطات والنقود والجواهر العربية والفارسية . ودوّن بعدها كتابه الشهير " أصول قواعد اللغة الفارسية " . وانتهى من طبع هذا الكتاب بعد تسع سنوات من تدوينه فى لندن سنة ١٦٤٩م (١٠٥٠ هـ) . وفى العام التالى (١٦٥٠م) طبع " زيج ألغ بيگ) المعروف باسم "الزيج السلطانى الكوركانى " . وفى سنه ١٦٥٢م دون كتابا بالإنجليزية عنوانه " نصير الدين الطوسى " ويدل هذان الكتابان على تخصص جون جريفز فى علم الرياضيات والفلك .

وإذا كان " جون جريفز " قد حقق الزيج السلطانى ونشره بلغته الأصلية الفارسية ، فإن معاصره " توماس هايد " (Thomas Hyde) - والذى يعد من أوائل المستشرقين الإنجليز قام بترجمة " زيج ألغ بيگ " إلى اللغة اللاتينية فى سنة ١٦٦٥م (١٠٧٦ هـ) ونشره فى أكسفود (١٥)

وبعد انتشار هذا الكتاب الفارسى فى إنجلترا بدأ علماء الاستشراق الإنجليز الاهتمام بالعلوم الإيرانية ضمن الثقافة الاسلامية الشاملة .

وآخر شخصية نستعرضها من علماء الإيرانيات فى القرن السابع عشر " إدموند جاستل " (Edmond Gastell) (١٦٠٦ - ١٦٨٥م) ، وهو خريج جامعة كمبريدج ، وكان كاهنا خاصا للملك سنة ١٦٦٦م ، وراعيا لكاتدرائية كانتربرى وأستاذا للغة العربية فى كمبريدج سنة ١٦٦٦٧م وله ديوان شعر بالعربية والكلدانية والسريانية والسامرية والحبشية والعبرية والفارسية واليونانية وأهداه إلى تشارلز الثانى ملك إنجلترا واسكتلندا وآيرلندة سنة ١٦٦٦م . (١٦)

الدراسات الايرانية فى القرن الثامن عشر :

على الرغم من العلاقات السياسية المعقدة التى كانت بين إنجلترا من ناحية والهند وإيران من ناحية أخرى ، إلا أن الإنجليز وجدوا أنفسهم مهتمين اهتماما بالغا باللغة الفارسية ، وانشغل كثير منهم بدراستها والتعمق فى آدابها . ولا شك أن العامل الاستعمارى كان سائدا ، والقليل من الإنجليز من درس الإيرانيات كهواية . ولكن الثابت أنه منذ بداية معرفتهم بالهند كانت اللغة الفارسية شغلهم الشاغل ، وكان عليهم تعلّمها لكونها اللغة الرسمية والأدبية فى شبه القارة الهندية .

السير وليم جونس

كانت أوروبا حتى القرن الثامن عشر فى جهل عميق بالأدب والفكر الشرقيين ، لكن بدأت صفحة جديدة فى سنة ١٧٧٥ م (١١٨٩ هـ) عندما نشر المستشرق الإنجليزى السير وليم جونس (١٧٤٦ - ١٧٩٤ م) كتابه اللاتينى " تعليقات على الشعر الآسيوى " وجعله مختارات من شعر الأدبين العربى والفارسى ، ويقع هذا الكتاب فى ست مجلدات . وعلى حد قوله وصف عمله هذا بما يلى : " لا بوصف الكاتب مترجما ، بل شاعرا ، ولا بوصفه فقيها لغويا ، بل رجلا ذوّاقة " .

وللمرة الأولى فتح وليم جونس الباب للمثقفين الأوروبيين ولدوائر المشتغلين بالأدب الكلاسيكى فى أوروبا ويقدروا مزايا الشعر الشرقى : العربى والفارسى .

وولد وليم جونس فى سنة ١٧٤٦ م فى لندن ، وتعلم فى هرو ، وفى الكلية الجامعة بأكسفورد . وشغف منذ صباه بميل إلى الدراسات الشرقية وعاونته ذاكرة خارقة للمعتاد ، وأظهر نبوغا مبكرا فى استيعاب اللغات ؛ فتعلم العبرية ، وأخذ العربية والفارسية عن حلبى كان فى أكسفورد . وذاعت شهرته كأول شخص اهتم بالدراسات الإيرانية حتى اعتبر مؤسس علم الإيرانيات فى إنجلترا ، ونال فى ذلك شهرة عريضة حتى عُرف باسم " جونس الآسيوى " (Asiatic Jones) . (١٧)

وفى سنة ١٧٧٤ م نال شهادة الحقوق ، وعُيّن مفوضا لشئون التفليسات فى عام ١٧٧٦ م ، ثم قاضيا فى المحكمة بكلكته عام ١٧٨٣ م . وكان آنئذ من كبار الشعراء والمحامين والقضاة والرياضيين . وفى الهند تعلم السنسكريتية والفارسية دراسة موسّعة وأجرى دراسات لغوية قارن فيها بين السنسكريتية والفارسية من ناحية وبين اليونانية واللاتينية من ناحية أخرى ، فوجد بين المجموعتين من أوجه التشابه ما مكّنه من وضع علم الدراسات اللغوية المقارنة .

ومن أوائل أعماله تدوينه كتابه الشهير " قواعد اللغة الفارسية " ، وطبعه فى لندن سنة ١٧٧١ م ، ويقع فى ١٥٧ صفحة ، وانتشر بسرعة فائقة حتى ترجم بعد فترة يسيرة إلى اللغة الفرنسية . ولا يزال هذا الكتاب القيّم يعتبره بعض المستشرقين المعاصرين أحد المراجع الأساسية فى دراسة قواعد اللغة الفارسية وطبع مرات عديدة .

ونظرًا لشهرته دعاه " كريستيان الرابع " ملك الدانمارك لترجمة كتاب " تاريخ نادرى " لمحمد

مهدى خان المنشى الأسترابادى المتخلص بكوكب إلى اللغة الفرنسية سنة ١٧٧٠م (١١٨٤هـ) .(١٨)

وكان المستشرقون الإنجليز فى الهند فى تزايد مستمر مع مرور الوقت ، وفى سنة ١٧٧٤م أسس السير وليم جونس مع عدد من النزلاء الإنجليز الآخرين " الجمعية الآسيوية فى البنغال " (Asiatic Society of Bengal) فى كلكته وتولى رئاستها حتى وفاته . وكان غرضها القيام بالأبحاث فى تاريخ آسيا وآثارها القديمة وفنونها ودياناتها وعلومها ، فكانت بداية حركة علمية قدّر لها أن تعم كل أنحاء العالم . ولا تزال هذه الجمعية العلمية تؤدى رسالتها حتى الآن رغم تغيّر الظروف السياسية . وتضم مكتبتها مجموعة كبيرة جدا من الكتب المخطوطة والمطبوعة باللغة الفارسية . كما طبع فيها كل ما كُتِبَ فى الفارسية فى تاريخ الهند ، أو ما يتعلق بالهند تقريبا . وقد عُدّ وليم جونس أبو الدراسات الهندية ، وفاقت شهرته فيها كمستعرب أو عالم إيرانيات .

ونشر وليم جونس جزءً من ديوان حافظ الشيرازى . ومن بين ما ترجمه غزلية حافظ التى مطلعها :

اگر آن ترک شيرازى بدست آرد دل مارا بخال هندويش بخشم سمرقند وبخارارا

وترجمة البيت بالعربية :

لو أن ذلك التركى الشيرازى يأسر قلوبنا بخاله الهندى سأهبه سمرقند وبخارى

ووردت هذه الغزلية المترجمه كاملة فى كتاب :

بصورتها التى فتنت أوروبا بما نقلته إليها لأول مرة من طابع أصيل للشعر الفارسى . كما طبع فى كلكته منظومة " ليلى ومجنون " لهاتفى فى سنة ١٧٨٨م . وأيضا ترجم نصوصا فارسية عديدة اختارها بنفسه . وأخيرا أثناء انهماكه فى وضع خلاصة للقانون الإسلامى الهندوسى وافاه الأجل فى كلكته سنة ١٧٩٤م ولم يتجاوز السابعة والأربعين من عمره .(١٩)

ونورد فيما يلى عددا من علماء الإيرانيات من رجال القرن الثامن عشر ، ولهم الفضل كل الفضل فى إثراء علم الإيرانيات فى إنجلترا ، منهم :

السير تشارلز ويلكنز Sir Charles Wilkins

كان يعيش فى الهند ومعاصرا للسير وليم جونس . كان يجيد العربية والفارسية وعدّة لغات هندية . بدأ حياته أمينا لمكتبة شركه الهند الشرقيه . وكان يدير مطبعة حديثة فى كلكته تعمل بحروف الرصاص وبخط " نستعليق " فى سنة ١٧٨١م (١١٩٥هـ) ، وطبع فيها بعض المتون الفارسية مما جعل لها الفضل فى تداول المتخصصين وغيرهم للغة الفارسية وآدابها فى الهند وايران . وكان من أهم الكتب التى أعدها للنشر المعجم الفارسى الكبير تأليف " ج . ريتشاردسون J. Richardson" فى سنه ١٨٠٦م (١٢٢١هـ) .

وارين هيستنجز Warren Hastings

تعتبر الدراسات الإيرانية مدينة أعظم دين لوارين هيستنجز ، وكان حاكما عاما للهند ،

وتحمسه للعلم الشرقى لا يحد . جمع مجموعة نفيسة للغاية من أحسن الخطوط والرسوم والمخطوطات المزخرفة بالذهب والمنياتير باعها بعد اعتزاله للعمل للشركة بثمن معتدل جدا . وهى مودعة حاليا ضمن النفائس الشهيرة الموجودة فى مكتبة " المكتب الهندى " (India Office) فى إنجلترا . وهى من الروعة والجمال والذكرى العطرة مما جعل آخرون يقتدون به ، حتى يمكن القول أن النفائس الإسلامية القيّمة الموجودة فى المكتبات الشرقية فى إنجلترا منقولة من الهند أو أغلبها من الهند . وكان هيستنجز يستطيع الاقتباس من شعراء الفارسية فى كافة المناسبات .

فرانسيس جلادوين Francis Gladwin

كان من أكثر المستشرقين الانجليز فعاليه فى الهند ، عالما قديرا . كان من موظفى شركه الهند الشرقية ضابطا فى جيش البنغال ، ثم مفوضا مقيما فى " بتنه " عام ١٨٠٨م . وأخيرا توفى عام ١٨١٣م .

ترجم فرانسيس جلادوين كتاب " آيين أكبرى " تأليف أبى الفضل بن مبارك علامى المؤرخ الهندى الشهير ، ونشره فى كلكته فى الفترة من ١٧٨٤ و ١٧٨٦م (١١٩٨ و ١٢٠٠ هـ) . وأيضا نشر المتن الفارسى لكتاب " پند نامه " (كتاب النصيحة) لسعدى الشيرازى ، مع ترجمة إنجليزية فى كلكته سنة ١٧٨٨م (١٢٠٢ هـ) ، وأيضا ترجم كتاب " بيان واقع " تأليف خواجه عبد الكريم الكشميرى ، ونشره فى كلكته سنة ١٧٨٨م . ونشر أيضا كتابا عنوانه " شرح وقايع بنگاله " وطبعه فى سنة ١٧٨٨م .

وبعد أربع سنوات (أى سنة ١٧٩٢م) نشر الترجمة الفارسية للتوراة والإنجيل التى قام بها " أوستروالد " (Osterwald) ، وجعل عنوانه " خلاصة تاريخ توريت وانجيل " وطبعه فى كلكته . تلاه نشر كتاب " مصطلحات الأدوية " لنور الدين محمد بن عبد الله الشيرازى ، وهو باللغات العربية والفارسية والهندوستانية ، وطبعه فى كلكتة سنة ١٧٩٣م .

وفى سنة ١٨٠٠م (١٢١٦ هـ) نشر المتن الفارسى والترجمة الإنجليزية لكتاب " طوطى نامه " لمحمد خداوند القادرى فى كلكته ، ثم أعاد طبعه فى لندن سنة ١٨٠١م للاقبال الشديد عليه . كما أصدر فى كلكته كتابا آخر يشتمل على قواعد اللغة الفارسية ومنتخبات شعرية ونثرية فارسية وجعل عنوانه " منشى فارسى " فى ثلاث مجلدات ؛ طبعه أولا فى كلكته ، ثم أعاد طبعه فى لندن سنة ١٨٠١م . وقد استمر هذا الكتاب اللغوى الأدبى النقدى الكتاب المدرسى السائد فى مدارس الهند لفترة طويلة . كذلك نشر كتاب " گلستان " لسعدى الشيرازى فى كلكته سنة ١٨٠٦م (١٢٢١ هـ) ، ثم أعاد طبعه فى لندن مع ترجمة إنجليزية سنة ١٨٠٨م (١٢٢٣ هـ) ، وأخيرا له معجم فارسى هندوستانى إنجليزى نشره فى كلكته سنة ١٨٠٩م (١٢٢٤ هـ) وكان هذا المعجم لا غنى عنه لكل دارس إنجليزى يعمل فى الهند أو يريد العمل بها لحاجته فى عمله ودراساته فى آن واحد . (٢٠)

وقد جذبت الأعمال الأدبية الباهرة التى حققها العلماء الإنجليز المقيمون فى الهند فى القرن الثامن عشر الانتباه الشديد فى إنجلترا ، حتى شغف كثير من الإنجليز فى موطنهم البعيد عن الشرق تعلم اللغة الفارسية والإقبال على ما تخرجه المطابع عن إيران كدولة والفارسية كلغة . لا لكون

اللغة الفارسية مفتاح العمل فى الهند فحسب ، بل لجمالها ورقتها وثراء أدبها .

ومنذ عام ١٧٥٧ (١١٧٠ هـ) وما تلاها أنشأ الإنجليز جمعية ثقافيه علمية تقوم بنشر الدراسات والأعمال الهامة للمستشرقين الإنجليز فى هذا الميدان ، حتى يمكن القول أن العلماء الإنجليز سبقوا علماء الدول الأوروبية الأخرى مجتمعة . أما من ناحية الكم فقد فاقوا غيرهم من الأوروبيين .

وكانت الحملة العسكرية التى قام بها " نادرشاه الأفشارى " على الهند سنة ١٧٣٩ م (١١٥١) وحرقه العاصمة دهلى قد أولى اهتمام الأوروبيين بإيران وجذب انتباه الإنجليز ؛ ففى سنة ١٧٤٢ م (١١٥٥ هـ) نشر جيمس فريزر " (James Fraser) كتابه الشهير " شرح أمال نادرشاه " فى الهند وطبعه فى لندن . وأصل هذا الكتاب الإنجليزى كتاب هندى كان قد دوّنه بالفارسية ميرزا زمان أحد مؤرخي الهند . (٢١)

الدراسات الايرانية فى القرن التاسع عشر :

أصبح للموظفين الإنجليز فى هذا القرن فى الهند وضع قوى لاستعمارهم شبه القارة الهندية وتحكّمهم فى مقاديرها . وكانت اللغة الفارسية رائجة فى الهند ، وأيضًا بدأ اهتمام الإنجليز بإيران لكونها خط الدفاع الأول عن شبه القارة الهندية . وفى الربع الأول من هذا القرن تأسست فى لندن " الجمعيه الآسيويه الملكية لبريطانيا وإيرلندا " (Royal Asiatic Society of great Braitain and Irland) وذلك فى سنة ١٨٢٣ م (١٢٣٨ هـ) .

وباستعراض الشخصيات التى أسهمت فى حقل الإيرانيات فى القرن التاسع عشر ، حيث عاش الإنجليز فى الهند كمستعمرين ، سواء العلماء الإنجليز المقيمين فى الهند ، ومنهم من وُلِدَ فيها ، أو العلماء المقيمين فى إنجلترا ، نجده كما هائلا يحتاج ذكره إلى مجلدات . وإن كنا نشير إلى أن من جمله أعمالهم القيّمه ترجمة المتون الفارسية الخاصة بتاريخ الهند إلى الإنجليزية ، وعن هذا الطريق يتأكد لنا أن دراسة اللغة الفارسية كانت لازمة لهؤلاء الأشخاص الذين اهتموا بتاريخ الهند .

وعن هذا الطريق كان يلتحق باستمرار العديد من شباب الإنجليز فى الجامعات البريطانية والتى بها كراسى للغة والأدب الفارسى لتعلم هذه اللغة . بل وحتى الكثير من علماء الهند (نعنى بهم علماء الهند وباكستان وبنجلاديش) الذين أحرزوا شهرة عريضة فى اللغة الفارسية وآدابها قد تعلّموا فى جامعات انجلترا .

ونستعرض فيما يلى بعض الشخصيات العلمية التى أسهمت بدور واضح ومؤثر فى هذا القرن :

السير جان مالكولم Sir John Malcolm

أحد كبار الموظفين الساسيين الإنجليز فى الحكومة البريطانية ، ومن علماء الإيرانيات ، اشتهر بذلك فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . قَدِم إيران ثلاث مرات فى السنوات ١٧٩٩ م (١٢١٤ هـ) و ١٨٠٨ م (١٨١٠ هـ) ، و ١٨١٠ م (١٢٢٥ هـ) ، ودوّن كتابه الشهير عن إيران وعنوانه " تاريخ

إيران منذ عصر البيشداديين حتى القاجاريين " ، وطبعه فى لندن سنة ١٨١٥ م (١٢٣٠ هـ) .
ولا يزال هذا الكتاب التاريخى بما يحويه من معلومات علمية قيمة له أهمية كبيرة . ويعتمد عليه مؤرخو إيران عندما يدونون تاريخهم . وكان فى وقته أشهر كتاب فى مجاله . وكان السير جون مالكولم قد بدأ فى كتابه تاريخ إيران بعد أن قضى سنوات عديدة فى الشرق ، وأحب الأمة الإيرانية وأعجب بها . وتدل كتاباته المليئة بالخطرات الشخصية على اتساع الفكر وحرارة العاطفة ، مما يميز المحب الصادق للإنسانية . (٢٢)

ثم إن السير جان مالكولم هو الذى حبب السير هنرى راولنسون (Sir H.C. Rawlinson) والد الجنرال راولينسون محطم خط هندنبرج ؛ ذلك أنه حين ارتحل راولينسون للمرة الأولى إلى الهند تصادف أن كان المؤرخ الكبير رفيقه على ظهر السفينة . وكان من نتيجة الصداقة التى نشأت بينهما أن أقبل راولينسون على دراسة تاريخ الآثار الإيرانية القديمة ؛ تلك الدراسات التى أسست علما جديدا .

السير هنرى كرزويك راولينسون Sir Henry C. Rawlinson

وكما سبق أن أشرنا إليه هو من علماء الآثار (١٨١٠ - ١٨٩٥ م) ، التحق بالعمل فى شركة الهند الشرقيه ضابطا ، وتعلم الفارسية ، وعمل فى إيران فى الفترة من ١٨٣٣ حتى ١٨٣٩ م ، واشترك فى الحرب الأفغانية (١٨٤٢ م) تلك التى يسميها الإيرانيون " حرب هراة " ، واقتنى مخطوطات شرقية نفيسة بيعت بعد وفاته للمتحف البريطانى . وفك راولينسون رموز النقوش المسمارية لداريوش (دارا الكبير ٥٢٢ - ٤٨٦ ق . م) فى بيستون سنة ١٨٤٦ م . وعاد إلى إنجلترا ليقضى بقية حياته فيها . ومن آثاره كتابه القيم " الكتابات المسمارية الفارسية " ، متنا مسماريا وترجمة إنجليزية ، ونشره فى لندن سنة ١٨٤٧ م . (٢٣)

السير جورج . أوزلى Sir Gore G. Ouseley

من علماء الإيرانيات الذين برزوا فى هذا الحقل العلمى . كان الوزير المفوض الإنجليزى فى بلاط فتح على شاه القاجارى سنة ١٨٠٠ م (١٢٢٥ هـ) ، ومن أعماله الثقافية التى يجب عدم إغفالها جمعه الكثير من المخطوطات الفارسية الهامة وحملها معه عند انتهاء مأموريته ورحيله عن إيران . ومن آثاره :

١ — تدوين كتاب " Biographical Notices of Persian Poets " (ملاحظات عن الشعر الإيرانى) ، نشره فى لندن سنة ١٨٤٦ م .
٢ — كتاب رحلة عنوانه " رحلة أوزلى " ، تحدث فيه عن فترة إقامته فى طهران وشعراء بلاط فتح على شاه القاجارى .
٣ — تحقيق كتاب " بختيار نامه " لشمس الدين محمد دقايقى المروزى من أدباء القرن السادس الهجرى ، ونشره فى لندن سنة ١٨٠١ م . (٢٤)

[illegible]

(Sir H.C. Rawlinson) [illegible]

[illegible]

السير هنري كرزويك رولنسون Sir Henry C. Rawlinson

[illegible] (١٨١٠ – ١٨٩٥ م) [illegible]

[illegible]

السير جور أوزلي Sir Gore G. Ouseley

[illegible]

Poets [illegible]

١ ـ [illegible] "Biographical Notices of Persian Poets" [illegible]

٢ ـ [illegible]

٣ ـ [illegible]

لمســــدن M. Lumsden

أرسلته شركه الهند الشرقية إلى الهند عام ١٧٩٤ م ؛ فتعلّم العربية والفارسية ، وعُيّـن وكيلا لقسم الصحافة (١٨١٤ - ١٨١٧) ، ثم أستاذا فى كلية " فورت وليم (١٨٢٢ - ١٨٢٥ م) فنظم الاستشراق تنظيما علميا دقيقا ، وعُهِدَ إليه بمطبعة كلكته فأحسن تجهيزها ، ونشر فيها مع لفيف من العلماء الكثير من نفائـــس المخطوطات حتى استقالته ، وعاد إلى انجلترا حيث توفى . ومن آثاره :

١ ـ كتاب فى قواعد اللغتين العربية والفارسية ، استمر فترة يتدارسه الطلاب فى أوروبا والهند ، نشره فى كلكته سنة ١٨١٣ م .

٢ ـ نشـر مقامات الحريرى فى ثلاثة أجزاء ، كلكته ١٨٠٩ - ١٨١٤ م .

٣ ـ المعجم العربى الفارسى ، كلكته ١٨١٤ م .

٤ ـ نشر منظومة " سبحة الأبرار " لمولانا عبد الرحمن الجامى ، سنة ١٨٠٩ م .

٥ ـ نشـر منظومة " مجنون ليلى " للشاعر أمير خسرو الدهلوى ، سنة ١٨٠٩ م .

٦ ـ نشـر كتاب " أخلاق محسنى " لملا واعظ الكاشفى السبزوارى ، سنة ١٨١٠ م .

٧ ـ نشـر منتخبات من آثار سعدى الشيرازى من الديوان وگلستان وبوستان ، كلكته ١٨١٠م

٨ ـ باشـر نشر شاهنامة الفردوسى عن أفضل المخطوطات التى كانت موجودة فـى الهند ، ولم تتح له الفرصة لانجاز العمل الذى بدأه وأصدر الجزء الأول فقط فى كلكته ١٨١١ م .

وكان للعلاّمة لمسدن الفضل فى تعريف مواطنيه الإنجليز بشاهنامة الفردوسى ، فأقبلوا عليهـــا دراسةً واقتباسا . وجاء بعده مستشرق إنجليزى آخر هو " تيرنر ماكان " (Turner Macan) فحقق الشاهنامه كلها وطبعها فى أربعة مجلدات ضخمة مع حواشى وشروح ، وطبعها فى كلكته ســنة ١٨٢٩ م (١٢٤٥ هـ) .

وكان انتشار الترجمة الإنجليزية للشاهنامة سببا فى أن نظم " ج . اتكينسون " (J. Atkinson) قصة " رستم وسهراب " شعرا إنجليزيا ، وطبعها فى كلكته سنة ١٨١٤ م (١٢٢٩ هـ) . كذلك فعل " و . ت . روبرتسون " (W. T. Robertson) نفس الشئ وترجم القصة شعرا إنجليزيا ونشر كتابه فى كلكته سنة ١٨٢٩ م . وأخيرا نظم قصة " رستم وسهراب " الشاعر الإنجليزى الشهير " ماتيو آرنولد " (Matthew Arnold) (١٨٢٢ - ١٨٨٨م) ، وكانت الطبعة الأولى ضمن مجموعة أشعاره نشرها فى سنة ١٨٥٣ م (١٢٦٩ هـ) ونظراً لبراعة ماتيو آرنولد الشعريه قـام منوچهرى أميرى بترجمة المنظومة إلى الفارسية فى سنة ١٣٣٣ هـ . ش . ، وقدّم لها سعيد نفيسـى بمقدمة قيمة . وكانت الطبعة الأولى لقصة " رستم وسهراب " تلك التى نظمها ماتيو آرنولد ضمن مجموعة من أشعاره نشرها فى سنة ١٨٥٣ م (١٢٦٩ م) وسرعان ما اعتبرت منظومة آرنولد الإنجليزية من الأعمال الشهيرة والقيمة فى الأدب الانجليزى ، هى وأعمال شرقية أخرى ، منها ألف ليلة وليلة ورباعيات الخيام.

أما الشاعر حافظ الشيرازى فقد أقبل الإنجليز عليه منذ أقدم " هايد " (Hyde) الإنجليزى ونشر مجموعة من الغزليات فى سنه ١٧٦٧ م ، تلاه السير وليم جونس والذى سبق ذكره ونشر ترجمـــة

لمجموعة من الغزليات شعرا إنجليزيا جميلا ، وسمّى مجموعته " الأغنية الفارسية " . أعقبه " جـ . نت " (John Nott) فنشر ترجمة لمنتخبات لغزليات فارسية من ديوان حافظ الشيرازى .

لقد عرف الإنجليز حافظا الشيرازى خصوصا فى الهند ، حيث كان لا يزال لحافظ فيها عبير منتشر وكان ديوان غزيات حافظ الذى طبع فى كلكته سنة ١٧٩١ م من أوائل الكتب التى طبعت فى الهند ؛ فكانت له الأسبقية نتيجة اهتمام الإنجليز به . أما فى إنجلترا فقد اهتم به الشعراء والكتاب الإنجليز ، ولقى بينهم قبولا حسنا ، وأعجبوا به وعَنَوْا بديوانه ، وصار فى وعيهم الصورة العليا للروح الشرقية التى خيلت إلى نفوسهم آنذاك . واجتهدوا فى ترجمة غزلياته بضع مرات ترجمة كاملة ، وإن كان حافظ لم يصل إلى مرتبة عمر الخيام النيسابورى عند الإنجليز حيث استقر فى أذهانهم ، ومع ذلك فان بعض المترجمين نظموا غزليات حافظ غاية فى العذوبة واللطافة .

لقد بدأ هذا العمل الأدبى الرائع منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادى فى موجة عارمة ترجمت فيها الأشعار الفارسية إلى الإنجليزية . وعلى حد قول المستشرق الإنجليزى " آرثـر جـ . آربرى) (A.G. Arberry) كان إسم حافظ فى الشهرة قرين هوراس فى كل مكان وعلى كل لسان ، واشتغل فيه قرابة عشرين شاعرا وكاتبا إنجليزيا . (٢٧)

أما الشاعر سعدى الشيرازى فإن الإنجليز اهتموا به اهتمامهم بحافظ الشيرازى وعمر الخيـام النيسابورى وترجموا آثاره الأدبية إلى اللغة الانجليزية ، ونال عندهم حظوة كبيرة . (٢٩)

يتضح من هذا العرض لأعمال علماء الإيرانيات الإنجليز فى القرن التاسع عشر أن الأدب الفارسى كثـر كما وكيفا وتفصيلا عما كان عليه فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وليس هناك أدنى شك أن تناولهم أدباء إيران الكبار فى ذلك القرن فاق الدول الأوروبية مجتمعة . (٣٠)

وأهم حدثين هامين وقعا فى القرن التاسع عشر ظهور شخصيتين عظيمتين هما " إدوارد فيتزجيرالد " (EdwardFitzgerald) (١٨٠٩ - ١٨٨٣ م) و " إدوارد جرانفيل براون " (E. GranvilleBrowne) والذى امتد به العمر حتى الربع الأول من القرن العشرين .

إدوارد فيتـزجيرالـد Edward Fitzgerald

قام الشاعر الإنجليزى المعروف " إدوارد فيتز جيرالد " بترجمة منظومة لبعض رباعيات الحكيم عمر الخيام النيسابورى عن نسخة كان قد كتبها الشيخ محمود بير بوداقى فى شهر صفر ٨٦٥ هـ (١٤٥٩ م) والموجودة فى مكتبة بودليان فى أكسفورد ، وترجم منها ٧٥ رباعية شعرا إنجليزيا رائقا ، وطبعهـا لأول مرة فى سنه ١٨٥٩ م (١٢٧٦ هـ) فى لندن فى حجم صغير .

وليست ترجمة فيتز جيرالد جميعها مطابقة للنص الفارسى . أما أفكار الخيام فإنه صبها ببراعـة فى قالب شعرى جميل فى اللغة الإنجليزية . ثم أصبح هذا الكتاب الصغير الحجم الذى يضم مجموعة رباعياته أحد أشهر الكتب فى العالم .

ويندر أن تجد قارئا إنجليزيا إلاّ وقد وقع تحت سحر إدوارد فيتزجيرالد فى إحيائه الشعرى لعمر

الخيام منذ الطبعة الأولى سنه ١٨٥٩ م ، والتى ظلت مدة من الزمن تباع النسخة منها ببنس واحـــد .
وهى قد زادت مفردات اللغة الإنجليزية غنىً بما أمدها من عبارات كثيرة شاعت حتى صارت رباعيــات
الخيام من أشهر الترجمات فى الأدب العالمى . ووصلت شهرة الخيام فى إنجلترا أن قام أشخاص آخرون
بترجمة رباعيات الخيام أو تناولوا الخيام وفلسفته بالدراسة والتحقيق . وليس بغريب أن الترجمة التـى
قام بها فيتزجيرالد للرباعيات لا يمر عليها عام إلا وتطبع طبعة جديدة . وليس من شك أن الإقبال الزائد
للشعب الإنجليزى على أشعار فيتزجيرالد هو الذى جعل إسم " عمر الخيام " على كل لسان ، وأيضـا
كان باعثا على الاهتمام باللغة الفارسية وآدابها ، وزادت الرغبة أكثر من ذى قبل ، وارتفع شـأن
الدراسات الإيرانية فى إنجلترا ، واتسع أكثر فى العديد من دول أوروبا نتيجة لذلك . ويندر أن توجد
لغة أدبيه فى العالم لا تحتوى على ترجمة للرباعيات تحذو الترجمة الأولى فى سنة ١٨٥٩ م ، والتى
لقيت فى أول أمرها فشــلا ذريعا انقلب نجاحا باهرا .

ولولا السير وليم جونس والسير جون مالكولم وفرنسيس جلادوين لما كان من المحتمل أن ينتج إدوارد
فيتزجيرالد شيئا شرقيا . وستبقى ذكرى عمر الخيام كشاعر وفيلسوف شرقى راسخة عند الإنجليـز مابقـى
اللســان الإنجليزى . (٣١)

واهتم الإنجليز أيضا بتدوين المعاجم وكتابة تاريخ الأدب الفارسى وقواعد اللغة الفارسـية ؟
فبعد صدور المعجم الفارسى الإنجليزى الكبير الذى وضعه " ج . ريتشاردسون " فى سنة ١٨٠٦ م
(١٢٢١ هـ) دُوِّنت بضع معاجم أخرى بلغت العشرين معجما . ويلزم أن نشير إلى معجم شتينجاس الذى
يحوى الكلمات الفارسية القديمة والپهلوية وحلَّلها تحليلا علميا دقيقا . ولا يزال الكثير من المتخصصين فى
الدراسات الإيرانية يعتمدون عليه حتى الآن مع العلم بأن الطبعة الأولى منه كانت سنة ١٨٩٣ م .

أما كتب قواعد اللغة الفارسية ، فإنه بعد كتاب " قواعد اللغة الفارسية " للسير وليم جونس ،
والذى أحرز شهرة عريضة فى كافة أوروبا وأصبح عمدةً فى موضوعه ، دَوَّن كل من " دنكان فـوربس "
(Duncan Farbes) و " ج . ت . پلات " (G.T. Platt) كتابين فـى
قواعـد اللغـــة الفارسية . (٣٣)

الدراســات الإيرانيـــة فى القرن العشرين :

إدوارد جرانفيل براون Edward Granville Browne

نبدأ هذا القرن الذى نعيش فيه بذكر عالم انجليزى عظيم ، كان يعيش فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، هو " إدوارد جرانفيل براون " الذى نال شهرته وعظمته ليس بكثرة الأعمال الأدبيه التى قام بها وهمّته العالية فحسب ، بل لوقوفه دائما بجوار الشعب الإيرانى فى محنته السياسية وأزماته الإقتصادية ، ومـا قدّمه من خدمات جليلة لإيران . ثم إنه يُعد أعظم عالم بالفارسية وُلِـدَ فى بلد غير إيران .

ولد براون فى سنة ١٨٦٢م فى " أولى " (Uley) من نواحى " جلوشستر شـاير " إحدى مقاطعات إنجلترا ، من أسرة إنجليزية عريقة . كان والده أحد المهندسين أراد لولده أن يمتهن مهنة الطب . وبدأ دراسته فى " إيتون " (مدرسة الأثرياء) وغادرها فى السادسة عشـرة من عمره للإنضمام إلى الجيش العثمانى الذى كان يحارب روسيا فى الفترة من ١٨٧٧ - ١٨٧٨م وتعلم اللغة التركية . إلاّ أن الحرب وضعت أوزارها قبل تمكّنه من إدراج إسمه فى كشوف المتطوعين . ثم درس الطب فى كلية " بمبروك " فى كمبريدج سنة ١٨٧٩م (١٢٩٦ هـ) ، وكان يَدْرُس اللغتين العربيـة والفارسية فى أثناء العطلات الصيفية والدراسية . وقصد استانبول حاضرة الدولة العثمانية سـنة ١٨٨٢م (١٣٠٠ هـ) بعد حصوله على شهادة الطب . ثم انتقل إلى كمبريدج ودرس اللغات الشرقية وحصل على مرتبة الشرف فى اللغات الهندية سنة ١٨٨٤م (١٣٠٢ هـ) ومكث فى إيران سنة واحدة ؛ دَوّن فيها خاطراته وأصدرها فى كتاب عنوانه " سَنَةٌ بين الإيرانيين " ، وعند عودته إلى انجلترا عُيِّـن محاضرا أول للغة الفارسية فى كمبريدج ، ثم خلف " ريو " (Charles Rieu) فى كرسـى اللغة العربية بكمبريدج سنة ١٩٠٢م ، واستمر فى منصبه حتى وفاته سنة ١٩٢٦م (١٣٤٤ هـ) .

اشتهر براون بجمعه بين الطب والعلوم الطبيعية وبين العربية والفارسية واطلاعه العميـق على الدين الاسلامى والتاريخ والحضارة الإسلامية وبدفاعه عن العرب والإيرانيين دفاعا مخلصا . وكان مؤسسو الدولة الدستورية فى ايران (مشروطيت) يستشيرونه، وكثيرا ما صنّف فى دستورهم ، ويعتبـر بحق أحد واضعيه . ولم يقتصر على نشر الكتب الفارسية وتدوين مواد الدستور ، بل كان يدافع عن الشعب الإيرانى فى صفحات الصحف والمنتديات السياسية فى إنجلترا .

ومن حسناته اقتراحه على والدة المستشرق " إلياس جون و . جيب " (E.J.W. Gibb) (١٨٥٧ - ١٩٠١م) تأليف لجنة جيب التذكارية تخليدا لذكرى ولدها ، وانتخبته اللجنه رئيسـا لها ؛ فعمد مع نفر من زملائه وتلامذته فاختاروا بعض أمهات الكتب الإسلامية وحقّقوها ونشروها . كذلك انتخب عضوا فى المجمع البريطانى والمجمع العلمى العربى فى دمشق . ولما بلغ الستين من عمره أُهْدِىَ إليه كتاب اشترك فى تأليفه ثلاثة وأربعون عالما من إحدى عشرة دولة ضم ما عقدوه من طريف المباحث .

وأضيفت إليه قصائد نظمها شعراء من إيران وسموه " عجب نامه " . ونشر فى كمبريدج سنة ١٩٢٢م .

وخلف براون سبعة عشر كتابا واثنتين وثلاثين رسالة وثلاث عشرة مقدمة بالإنجليزية على كتب فارسية . وكان يتولى طبعها بنفسه ، ويصححها عدة مرات ، وبلغ عدد ما كتبه من صفحات ٩١٣١٨ صفحة كلها من أثر قلمه دون مساعدة أى شخص . علاوة على ذلك فقد قام إدوارد براون بنشر عشرين مقالة فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية . وأخيرا كان براون يمتلك مجموعة من المخطوطات الشرقية وقفها على مكتبة كمبريدج ، وقام نيكلسون بوضع فهرس لها ونشره فى كمبريدج سنة ١٩٣٦م . (٣٤)

رينولد آلن نيكلسون

هو آخر من نذكرهم فى هذا البحث ، وليس آخر العلماء الإنجليز الذى يحتاج ذكرهم إلى بضع مجلدات لكثرتهم ووفرة نتائجهم . ولد نيكلسون عام ١٨٦٨ م ، وتخرج من كلية ترينيتى بكمبريدج وتعلم الفارسية على يد إدوارد براون . ويعد آخر المستشرقين الإنجليز العظام ومن العلماء الثقات فى التصوف الإسلامى . وأعماله العظيمة تلك التى طبعها أو ترجمها أوحققها فى النصف الأول من القرن العشرين لها أهمية خاصة سواء كتب التصوف المدونة باللغة الإنجليزية ، أم متون التصوف الشرقية : الفارسية والعربية لخير دليل على ذلك . وكان نيكلسون رجلا ذا معرفة فائقة واجتهاد لا يشق له غبار . ومع أنه لم يزر الشرق قط فقد أحاط فهما بالعقلية الإسلامية إلى حد لا يساويه فيه أى معاصر له . وهو أعظم عالم غربى فى التصوف الإسلامى ، وكان مثالا كاملا للدارس الذى يصل فى دراساته إلى روح أمة نائية وينسجم مع كل أنغامها وخلجاتها .

وكان أول عمل نشره نيكلسون منتخبات شعرية من ديوان " شمس تبريز " فى سنة ١٨٩٨ م . وفى سنة ١٩٠١ م عين محاضرا للغة الفارسية فى الكلية الجامعية بلندن ، وخلف إدوارد براون كمحاضر للفارسية فى كمبريدج سنة ١٩٠٢ م . وبعد وفاة براون خلفه فى كرسى السير توماس آدمز للعربية (١٩٢٦ - ١٩٣٣ م) . هذا وقد كوفئ على عمله ونشاطه بالألقاب والأوسمة وعضوية مجامع كثيرة .

وخلف نيكلسون آثارا كثيرة أهمها على الإطلاق تحقيقه للمنظومة الخالدة " المثنوى المعنوى " لمولانا جلال الدين الرومى . ويعد أهم أعماله التى خلدت ذكره ، بل وفاق كافة المستشرقين الذين كتبوا عن التصوف الإيرانى ، وقدمه إلى قرائه فى ثمانى مجلدات ونشره فى الفترة من ١٩٢٥ حتى ١٩٤٠م (١٣٤٣ - ١٣٥٩ هـ) . (٣٥)

الحواشـــى والتعليقات :

1) Moreland, W. H.;

A Short History of India, Second edition, London, 1944.

2) Dodwell, H. H. ;

The Camridge History of India, L0ndon, 1968.

3) Spear, Percival;

A History of India, Vol. II, London. 1982.

4) Sykes, Percy;

A History of Persia, Vol. II, London, 1958.

5) Rabino de Borgomale;

Diplomatic and Consular Ohhicers of Great Britain and Iran, London, 1946, P. 61.

٦) محمود محمود ؛

تاريخ روابط سياسى ايران وانگليس در قرن نوزدهم ، المجلد الخامس ، الطبعة الثالثة نشر مكتبة إقبال ، طهران ، ١٣٤٥ هـ ٠ ش ٠

٧) هو عبد الرحيم خان الملقب بخان خانان من أصل هندى ، ومن أجِلّـة رجال بلاط السلطان أكبر شاه ؛ ترجم كتاب " توزوك بابرى من التركية الجغتائية إلى الفارسية ، توفـى سنة ١٦٢٦ م (١٠٣٦ هـ) ٠ وقبره بجوار مدفن خواجه نظام الدين أولياء ، ولا يزال قبره معروفا فى دهلى حتى الآن ٠ كان ينظم الشعر باللغتين الهندية والفارسية ٠

٨) سيد على رضا نقوى ، دكتور ؛

تذكره نويسى فارسى در هند وپاكستان ، نشر مكتبة على أكبر علمى ، طهـــــران ، ١٣٤٣ هـ ٠ ش ٠ / ١٩٦٤ م ، ص ٥٨٠ ٠

٩) آرشـور ج ٠ آربـــرى ؛

المستشرقون الإنجليز ، تعريب الدكتور محمد الدسوقى النويهى ، نشر وليام كولينـــز بلندن ، لندن ، ١٩٤٦ م ، ص ١٢

١٠) هيرمان إيتيــه ؛

تاريخ الأدب الفارسى ، ترجمـةُ إلى الفارسية الدكتور رضا زاده شفق ، طهـــران ، ١٣٣٧ هـ ٠ ش ٠ (١٩٥٨ م) ص ٣٨٩ ٠

11)Arbery, Arthur J. ;

British Constributions of Persian Studies, London, 1942, P. 9 .

١٢) آربـرى ، آرثور جـ . ؛

تحقيقات ومطالعات انگليسها درباب فارسى ، ترجمة فرنگيس شادمان، نشر شوراى فرهنگى بريتانيا ، لندن ١٩٤٣م ، ص ٢٠

٢٣) آرثـور ، جـ . آربرى ؛

المستشرقون الإنجليز ، مرجع سابق ، ص ١٥

١٤) نجيب العقيقـى ؛

المستشرقون ، الجزء الثانى ، نشر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٤٠ .

١٥) المرجـع السابق ، ص ٤١

١٦) المـرجع السابق ، ص ٤٢ - ٤٣ .

17) Arbery, A. J. ;

AsiaticJones, The life influence of Sir William Jones (1746 -1794) , London, 1946.

١٨) نجيب العقيقى ؛

المستشرقون ، جـ ٢ ، مرجـع سابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

١٩ ـ آرثـور ، جـ . آربـرى ؛

المستشـرقون الانجليز ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

٢٠) فرنگيس شادمان (مترجمـة) ؛

تحقيقات ومطالعات انگليسها درباب فارسى ، مرجع سابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .

٢١) نقـل هذا الكتاب مرة أخرى من الإنجليزية إلى الفارسية أبو القاسم خان ناصر الملك قراگوزلو ، وجعل عنوانه " تاريخ نادرشاه افشار ومختصرى از تاريخ سلاطين مغول كه در هندوستان سلطنت كرده اند " . وطبعه فى طهران سنة ١٩٠٣م (١٣٢١هـ)

٢٢) مالكولـم ، السير جون ؛

تاريخ ايران ، ترجمة إسماعيل بن محمد على " حيرت " ، مجلدان ، بومباى ، طبعة حجرية ، ١٨٨٦م (١٣٠٣ هـ) .

٢٣) فرنگيس شادمان (مترجمـة) ؛

تحقيقات ومطالعات انگليسها درباب فارسى ، مرجع سابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .

٢٤) محمود محمود ؛
تاريخ روابط سياسى ايران وانگليس در قرن نوزدهم ، المجد الخامس ، مرجع سابق ،
(وبه فصل كامل عن السير جور أوزلى) .
٢٥) نجيب العقيقى ؛
المستشرقون ، جـ ٢ ، مرجع سابق ، ص ٥٠
٢٦) آرثور ، جـ . آربرى ؛
المستشرقون الانجليز ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .
٢٧) عبد السلام عبد العزيز فهمى ، دكتور ؛
جهود علماء الإيرانيات الإنجليز فى خدمة الأدب الفارسى ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص ٥٣ - ٥٨
٢٨) المرجع السابق ، ص ٥٨ - ٦٠ .
٢٩) آربرى ؛ المستشرقون الإنجليز ، مرجع سابق ، ص ٤٠ - ٤٢ .
٣٠) المرجع السابق ، ص ٤٢ - ٤٣ .
٣١) نجيب العقيقى ؛
المستشرقون ، جـ ٢ ، مرجع سابق ، ص ٨٠ - ٨٢
وأيضا مقدمة رشيد ياسمى على كتاب " تاريخ دادبيات ايران " المجلد الرابع تأليف
إدوارد براون ، الطبعة الثالثة ، طهران ، ١٣٤٥ هـ . ش . ، ص ٧ - ١٥
٣٢) عبد السلام عبد العزيز فهمى ، دكتور ؛
جهود علماء الإيرانيات الإنجليز فى خدمة الأدب الفارسى ، مرجع سابق ، ص ٧٦ - ٧٩ .